

ابليس قال لى . . .

فى كل بيت ، وبذر الفتنة فى كل مجمع ، أصادق من تستطير النفوس منه غضبى لا عنة حتى لم يبق إلا أن يكون له فى كل منها مساس من خطاياهم ؟ قال : إنكم أيها الناس سرتهم على سنة توحيدية فأتخذتم مبدأ القديم على قدمه أسلوب حياتكم . فلا تغير ولا اختلاف . فلو أنك استمعت إلى فى خلوتك هذه ، وهى ساعة من ساعات الصفو لا يعكرها معكر ، لآمنت بأن الناس على خطأ وأنتى على صواب .

قلت : نحن الناس على خطأ وأنت على صواب . . . عجيب والله أمرك . وتطلب منى أن أسمعك بل وأصغى إليك ؟ ! قال : يقولون إن الإنسان حكيم نفسه . . . إنه يستمع إلى كل شيء فإن رأى فيه خيراً أخذ به وإن لمس الشر فيه ابتعد عنه .

قلت : إنك والله كما قالوا فيك . . . حلو الحديث ، حسن المعشر ، ولكنك سىء النتيجة نفعى المقصد . تعرف الطريق إلى أكل الكتف ، وتتسلى بإيذاء البشر . فما أحوج نفوس الناس إلى ستر من الفولاذ يحميها من شرك ، ويفصلها عن لقيائك ؛ ولكنى سأستمع إليك ، فإن كان شراً يراد بى أو بمن أحب وأرضى لهم الخير ، فساأثر عليك ،



فى خلوة الخاطر وعند هدوء الكائنات يتلمس إبليس دائماً طريقه إلى النفوس هادياً إلى طريق الخطايا . وفى ثورة النفس وجحاح العقل يهمس إبليس فى وشوشة ناعمة وهمسات مخدرة تردى فتيات الإيمان فى النفس . وعند بلوغ البأس أقصاه والضعف منتهاه يلقي إبليس فى بشاشة وفى بسمه دونها ابتسامات العابثات . . . إنه فى كلا الحالات رفيق النفوس وزميل العاطفة وربان السفينة . إنه الوسواس الخناس . . . يوسوس فى صدور الناس .

إبليس هذا الذى يزور الناس فى هدوئهم وثوراتهم أبت عليه نفسه وسجاياه إلا أن يزورنى كما يزور الآخرين . زارنى فى شوق ظاهر ، وبشر طافح ، فى خلوة من خلوات الخاطر ، وأقبل على بلهفة فيها شراهة الجائع ، ولهت العاطش

كأننى كنت له جنة من خطر وملجأ من خوف هالع . انتفضت فزعاً مذعوراً اذكر الله هاتفاً باسمه ، مستعيذاً من الشيطان . . . صائحاً من أنت ؟

قال : من أنا ؟ . . . وابتسم فى وداعة الطفل . . . أنا صديق وحدتك ، ومن تهتف باسمه عند ما ترؤّع . . . أنا إبليس .

قلت : اغرب عنى . . . أعوذ بالله منك ومن صداقتك . . . أصادق مخلوقاً خلق على غير ما خلق عليه الناس ، فجبل على حب المكروه لهم ، ووزع الشر أنصبه

ولو عكرت على الناس هدأ هذا الليل الساكن .
قال : ونفسى ؟ ! لم آت إليك صاحب غرض أو مطمع ،
إنما أشكو ضعف الحال في هذه الأيام ، فلم يبق لى
الناس من سبيل في هذه الحياة . فإني تعودت أن
أعيش في دنياى وحيداً ، والناس في دنياهم ،
وليست بينى وبينهم إلا زيارات قصار ، هى كل
متعتى في هذه الحياة . زرتهم في أيامى هذه ،
فلم ألق لى في مجالسهم مقعداً ، ولا في نفوسهم
من مكان . قلت لعلهم مشغولون بأمر دنياهم ،
والمشغول لا يشغل فعدت من حيث أتيت ، وكررت
الزيارات مراراً ، فلتيت ما لا أحب أن يلقي
الصديق . (يأخذ إبليس في البكاء) .

قلت : لقد تعودنا نحن الناس إذا لم نجد لنا في المجالس
التي نتردد عليها مكاناً قطعنا التزاور ، فذلك أجدى
على إبقاء الهدوء وسلامة النيات .

قال : إني لست منكراً عليكم طريقتكم ، ولكن الذى
أنكره عليكم ، أن أجد منكم أعمالاً وتغيير أحوال
ليست من شأنكم . إني أراكم تقومون بما لستم
مكلفين به ، وهو ليس من صناعتكم ، بل هو من
عملى ومن شأنى . إني لم أعهد في نفسى أنى كلفت
أحداً منكم بأن يقوم بعمل هو من صميم اختصاصى
ومن ابتكارى وفنى . لقد كنت أعمل ما أعمل
غير متعد أو متجن على أحد ، بل تركت لكم
ما تدينون به من مذهب العمل ، ولى ما أدين به
من مذهب . ولكنى اليوم أراكم أيها الناس
قد بدأتم تقاسمونى العمل ، فقلت لعلهم لمسوا في
الشيخوخة فست عاطفة العون والمساعدة قلوب
الأعوان والرفقاء ، فتحملوا بعض العبء وتركوا لى
البعض الآخر أعيش عليه بقية العمر .

قلت : وهل لك أعوان ورفقاء يساهمون معك في مهمتك
الإبليسية ؟ هل هم شركاء في شركة الشر ينالون
القوائد على أنصبتهم ؟

قال : نعم لى رفقاء ، ولكنهم ليسوا بشركاء ، بل هم
متطوعون ، يفعلون الخير حباً للخير ، ولا يريدون
من وراء ذلك جزاءً ولا شكوراً .

قلت : أسمى سياستك البغيضة خيراً ، وأعوانك خيرون ؟
قال : فاعل الخير لا يأتى إلا بالخير ولا يسعى إلا إليه ،
فإن رأى الخير يؤتى أكله سارع إليه غير عابىء
بما يلقي من ذميم الشئام وقبيح السباب ، وإن رأى
الشر هو نجم النحس في مسيره عدل عنه ونكص
لئلا يضر نفسه ويضر غيره . وأعوانى في ذلك وأنا
على رأسهم تتخذ هذا الشعار علماً لكل ما نعمل
ونفعل فقد آنسنا منه رشداً وهدياً لخير بنى الإنسان
قلت : كأنك تأخذ علينا مأخذ إبليسية ، وتحملنا أوزاراً
شيطانية ؟

قال : أى ونفسى ؟ ! لقد أصبح الإنسان إبليس الحياة
في الأرض وشيطان الغواية في دنيا البشرية .
قلت : أفصح فلعل في الأمر شيئاً إنك تعلق على راحتي
وهدوني .

قال : هون عليك يا صديقى . . . وستعلم أن إبليس هذا
الذى تلعبه سينقلب ملاكاً بجانبكم أيها الناس .

قلت : وهل وصلنا إلى هذا الدرك ؟
قال : نعم . . . وأقولها وأنا أنلمس البواقى من إيمانى
بقدرتى ، فلعلها تكون لى عوناً لى آخر العمر . . .
أتود أن تعلم أنكم أصبحتم أبالسة ؟
قلت : هات ما عندك ، وإن كنت مؤمناً بالله بأن الناس
ما زالوا بخير .

قال : أليس فيكم من يسعى إلى الفساد والإفساد وقد
(البقية على صفحة ٣٨)